الأخلاق وأثرها في تحقيق السلم المجتمعي
دراسة في ضوء القرآن والسنة

إعداد

د/ أسماء عبادة عبادة محمد
الأستاذ المساعد بكلية
العلوم والآداب للطالبات
– بمحايل عسير –
جامعة الملك خالد

د/ رحمة موسى الأحمري
الأستاذ المساعد بكلية
العلوم والآداب للطالبات
– بمحايل عسير –
جامعة الملك خالد

شكر وتقدير

هذا البحث تم دعمه من خلال البرنامج البحثي العام

بعمادة البحث العلمي – جامعة الملك خالد

المملكة العربية السعودية

برقم (GRP/367/42)

الأخلاق وأثرها في تحقيق السلم المجتمعي
دراسة في ضوء القرآن والسنة

أسماء عبادة عبادة محمد

قسم الدراسات الإسلامية – التخصص: الحديث وعلومه – كلية العلوم والآداب للطالبات – بمحايل عسير – جامعة الملك خالد.

البريد الإلكتروني : **aobadh@kku.edu.sa**

رحمة موسى مانع الأحمري

قسم الدراسات الإسلامية – التخصص :التفسير وعلوم القرآن

الأستاذ المساعد بكلية العلوم والآداب للطالبات – بمحايل عسير – جامعة الملك خالد.

البريد الإلكتروني : **rhmhm@kku.edu.sa**

الملخص:

تمثل الأخلاق المبادئ والقواعد التي يتصرف الإنسان وفقا لها، فهي تشريعات للنفس والجسد، فالأخلاق نهج لإرشاد الإنسان إلى طريق الخير، وإبعاده عن الشر في الدنيا وسوء العاقبة في الآخرة.

لذلك كان للأخلاق دور كبير في تحقق مجتمع يسوده السلم والوئام، وتعمه الفضيلة ومحاسن العادات .

ويناقش هذا البحث دور الأخلاق في تحقيق السلم المجتمعي في ضوء الكتاب والسنة. كما يبين أن القرآن الكريم والسنة النبوية أرسيا دعائم واضحة لحسن الخلق، وإجراءات إذا تم تطبيقها تحقق السلم المجتمعي. وتناول

الأسس التي حقق رسول الله- ﷺ - بها السلم المجتمعي في المدينة المنورة فور قدومه إليها، بالرغم من تنوع ساكنيها واختلاف دينهم.

وأبرز البحث كيف يشيد النظام الأخلاقي مجتمعا كالبنيان يشد بعضه بعضا في منظومة من السلم النفسي والأسري والمجتمعي.

إن النظام الأخلاقي ليس جزءا من نظام الإسلام العام فحسب، بل الأخلاق هي جوهر الإسلام وروحه السارية في جميع جوانبه.

الكلمات المفتاحية: **الأخلاق – السلم – المجتمعي – البناء الأخلاقي – القرآن والسنة .**

Ethics and its impact on achieving societal peace, a study in the light of the Qur’an and Sunnah (traditions)

Asma Ubadah Ubadah Muhammad - Department of Islamic Studies - Specialization: Hadith [Tradition] and its Sciences - Faculty of Sciences and Arts for Female Students - Mahayel Asir - King Khalid University.
Email: aobadh@kku.edu.sa

Rahma Musa Maneh Al-Ahmari - Department of Islamic Studies - Specialization: Interpretation and Sciences of the Qur’an -
Assistant Professor at the Faculty of Science and Arts for Female Students - Mahayel Asir - King Khalid University.
Email: rhmhm@kku.edu.sa

Abstract:

Ethics represents the morals, principles and rules that a person acts upon, as they are legislations for the soul and the body. Ethics is a method for guiding man to the path of goodness and keeping him away from evil in this world and the bad consequences in the hereafter.

Therefore, ethics had a great role in achieving a society dominated by peace and harmony, pervaded by virtue and the virtues of customs. This research discusses the role of ethics in achieving societal peace in the light of the Qur’an and Sunnah (traditions) . It also shows that the Noble Qur’an and the Sunnah of the Prophet have laid clear foundations for good morals, and measures, if applied, will

achieve societal peace. It dealt with the foundations by which the Messenger of God حقق (PBUH) achieved societal peace in Medina upon his arrival there, despite the diversity of its inhabitants and the difference in their religion.

The research highlighted how the ethical system builds a society like a structure that strengthens each other in a system of psychological, family and societal peace.

The moral system is not only part of the general system of Islam, but morals are the essence of Islam and its spirit that runs in all its aspects.

Key words: ethics - peace – societal - moral structure - The Qur'an and the Sunnah [the deeds and the traditions of the prophet].

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد

الأخلاق هي الوسيط الذي لابد منه لانسجام الإنسان مع أخيه، فهي تهذيب النفس ظاهرا وباطنا، وبها تشيع الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع، وقد كان الصحابة بأخلاقهم نموذجا واقعيا لتحقيق السلم المجتمعي فكانوا خير القرون.

والواقع المشاهد أن المجتمعات الإنسانية تعاني القلق والاضطراب، مع أنها بلغت مبلغا من التقدم المادي لم يشهده أي عصر، وهذا يدل على أنه لا سلم إلا بالخلق القويم.

فالأخلاق ومكارمها نهج لإرشاد الإنسان إلى طريق الخير وإبعاده عن الشر في الدنيا وسوء العاقبة في الآخرة.

تتمثل مشكلة البحث في الإجابة عن التساؤلات التالية:

هناك أزمة معرفية في فهم حقيقة الأخلاق وتطبيقاتها، وكيفية توظيفها، والسبب في ذلك هو الاقتصار على الفهم الظاهري وعدم الغوص فيما وراء ذلك من ارتباط الأخلاق بكافة المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

يحاول البحث الكشف عن دور الأخلاق في كافة مجالات الحياة، وتوظيف الأخلاق في المحافظة على المجتمع واستمراره وتطوره. فالأخلاق

هي أساس بناء الأمة، وسبب الأمن من هلاكها وفنائها، ولا يمكن التعايش بغيرها، وأي مجتمع لا يرتبط أفراده فيما بينهم بروابط أخلاقية متينة، لا ينعم بالسلم والوئام، وإنما يتفكك ويتصارع مما يؤدي بهم إلى الهلاك.

إن السلم الاجتماعي ثمرة حسن الخلق، فحسن الخلق يوجب التآلف والتواد والتحاب، وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر. ومن تأمل مصارع الغابرين علم أن سبب فنائهم هو الفساد والانحلال الخلقي، كقوم شعيب وقوم لوط.

يبرز البحث أهمية الجانب الأخلاقي، والاعتناء بما يؤلف القلوب ويجمعها؛ فكلما تمسك المسلمون بأخلاقيات التعامل الإسلامي الرشيد كلما ساد السلم المجتمعي.

وقد جاءت بعثة النبي – ﷺ – متممة لمكارم الأخلاق، " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ "(١)، وقام المجتمع المدني الذي بناه النبي – ﷺ – في أعلى قيم الإخاء والإيثار ومكارم الأخلاق، وتحقق فيه مجتمع الأمن والسلام مما مثل نموذجا يحتذى ودليلا على الدور الأخلاقي في بناء المجتمع.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٤/٥١٣). بسند حسن، رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان، فقد روى له مسلم متابعة، وهو قوي الحديث.

أهداف البحث:

المساهمة بدراسة موضوعية تجمع بعض الآيات والأحاديث المتعلقة بالأخلاق وأثرها في تحقيق السلم المجتمعي، للأسباب الآتية:

١- كون الأخلاق تجسد صورة الإيمان الحقيقية.

٢- كونها توسع دائرة العلاقات والصداقات بين الشعوب.

٣- كونها أساس التعايش المجتمعي، وتحقق الاستقرار والأمن والأمان.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة تناولت دور الأخلاق في السلم المجتمعي، وهناك العديد من الدراسات السابقة تتناول الأخلاق في الإسلام، كما أن هناك العديد من الدراسات تناولت السلم المجتمعي منها:

- السلم المجتمعي بين الوحدة والتعدد النص القرآني مدخلا – الباحث أ.د/ عباس أمير معارز – منشور مجلة مركز بابل للدراسات.
- القيمة الحضارية للسلم المجتمعي من وجهة نظر إسلامية – أ.د/ رعد حميد توفيق، م.م/ نور علي إبراهيم.
- السلم الاجتماعي دراسة تأصيلية – أد/ محمد سليمان المومني – مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الشرعية والقانونية.
- المنظومة الأخلاقية وأثرها في الأمن الفكري في تحقيق الأمن الفكري – د/ علي أبو بكر إبراهيم – مجلة جامعة الأزهر.
- كتاب الأخلاق في الإسلام للدكتور/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق.
- الأخلاق الإسلامية – أ.د/ مصطفى حلمي.
- ارتباط الأخلاق بالعقيدة في الإسلام – أ.د/ مصطفى مسلم.

يتميز هذا البحث عما سبق من دراسات بما يلي:

تتميز هذه الدراسة بتقديم تصور نظري وتطبيقي عن دور الأخلاق في السلم والأمن المجتمعي.

منهج البحث:

المنهج الاستنباطي(١) الذي يهدف إلى جمع النصوص المتعلقة بالموضوع من كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ -، والاستعانة بالتفاسير وشروح السنة فيما يتعلق بمشكلة البحث.

منهج توثيق البحث:

- عزوت الآيات القرآنية في المتن بذكر اسم السورة ورقم الآية.
- خرجت الأحاديث النبوية، فإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به، وإن لم يكن في الصحيحين خرجته من السنن أو المسانيد أو غيرها من كتب السنة، فإن وجدت حكما للمتقدمين من علماء الحديث ذكرته كالمنذري والهيثمي والبوصيري.
- الاستعانة بكتب التفسير وشرح الغريب وشروح الحديث والمعاجم اللغوية لبيان معاني المفردات الغريبة وضبط المشكل منها.
- الإحالة على المصدر بذكر الكتاب والجزء والصفحة واسم المؤلف عند أول ذكر للمصدر، أما المعلومات الكاملة فذكرتها في المراجع.

---

(١) الطريقة المنهجية الاستدلالية التنازلية التي تعتمد على قاعدة تحليل "كل جزء" من أجل الوصول إلى معرفة يقينية بشأن الظاهرة محل الدراسة. تقنيات ومناهج البحث في العلوم السياسية والاجتماعية (ص ١٣٤)، عبد الناصر جندلي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ٢٠٠٥م.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين، وخاتمة

التمهيد: بيان المصطلحات الأساسية للبحث: **الأخلاق، السلم المجتمعي**

المبحث الأول: علاقة الأخلاق بالسلم المجتمعي، **وفيه مطلبين:**

المطلب الأول: مكانة الأخلاق في الإسلام.

المطلب الثاني: أهمية البناء الأخلاقي للمجتمعات في ضوء نموذج مجتمع المدينة.

المبحث الثاني: أثر الأخلاق في تحقيق السلم المجتمعي، **وفيه مطلبين:**

المطلب الأول: أثر الأخلاق في إشاعة السلم ونشر الألفة والمحبة.

المطلب الثاني: أثر الأخلاق في الوسطية والاعتدال.

خاتمة: **أهم نتائج البحث والتوصيات المقترحة.**

التمهيد

بيان المصطلحات الأساسية للبحث

مفهوم الأخلاق:

الأخلاق لغة: جمع خلق بضم اللام وسكونها: وهو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة: وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلقِ لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة(١).

الخُلق اصطلاحا: عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية(٢).

قال الغزالي: وإنما قلنا إنها هيئة راسخة؛ لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ. وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية لأن

---

(١) لسان العرب (١٠/٨٦، ٨٧)، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، ط: الثالثة – ١٤١٤هـ عدد الأجزاء: ١٥.

(٢) إحياء علوم الدين (٣/٥٣)، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت – عدد الأجزاء: ٤، التعريفات، (ص: ١٠١)، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م – عدد الأجزاء: ١.

من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم. فههنا أربعة أمور:

أحدها: فعل الجميل والقبيح.

والثاني: القدرة عليهما.

والثالث: المعرفة بهما.

والرابع: هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح.

وليس الخلق عبارة عن الفعل، فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل إما لفقد المال أو لمانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل إما لباعث أو لرياء.

وليس هو عبارة عن القوة لأن نسبة القوة إلى الإمساك والإعطاء بل إلى الضدين واحد وكل إنسان خلق بالفطرة قادر على الإعطاء والإمساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء.

وليس هو عبارة عن المعرفة فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد.

بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهو الهيئة التي بها تستعد النفس لأن يصدر منها الإمساك أو البذل[(١)].

وبذلك يتوافق هذا التعريف مع حديث عمر بن الخطاب – ﷺ – قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى

(١) إحياء علوم الدين (٣/٥٣).

مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[1].

فإن الفعل واحد في الظاهر لكنه مختلف من ناحية هيئة النفس وصورتها الباطنة الداعية إلى الهجرة.

مفهوم السلم المجتمعي:

السلم لغة: **التعري من الآفات الظاهرة والباطنة[2]. قال ابن فارس: معظم بابه من الصحة والعافية. فالسلامة: أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى. قال أهل العلم: الله جل ثناؤه هو السلام؛ لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء[3].**

المجتمع لغة: **أصل كلمة (جمع) الجيم والميم والعين أصل واحد، يدل على تضام الشيء. يقال جمعت الشيء جمعا[4]. والمجتمع: موضع الاجتماع والجماعة من الناس[5].**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله - ﷺ - (٦/١)، ومسلم في صحيحه: كتاب: الإمارة، باب: قوله - ﷺ -: «إنما الأعمال بالنية»، وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال (١٥١٥/٣).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص ٤٢١)، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ).

(٣) مقاييس اللغة (٩٠/٣)، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ).

(٤) مقاييس اللغة (٤٧٩/١).

(٥) المعجم الوسيط (١٣٦/١) المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة، لسان العرب (٥٣/٨).

السلم المجتمعي: **حالة السلم والوئام داخل المجتمع نفسه وبين شرائحه وقواه.**

من أهم المقاييس الأساسية لتقويم أي مجتمع تشخيص حالة العلاقات الداخلية فيه، فسلامتها علامة على صحة المجتمع وإمكانية نهوضه، بينما اهتراؤها دلالة سوء وتخلف[١].

إن السلم حالة تعبر عما فطر الإنسان عليه من العيش في تآلف ووئام داخل المجتمع البشري، فالحاجة إلى السلم ضرورة لاستمرار الحياة وعمارة الأرض، وانعدام السلم يؤدي إلى القلق والاضطراب، ويحول دون الاستقرار.

---

(١) السلم المجتمعي، مقوماته، وحمايته، مقال للشيخ حسن الصفار منشور بجريدة الشرق الأوسط ١٥/٦/٢٠٠١م.

المبحث الأول
علاقة الأخلاق بالسلم المجتمعي

الأخلاق هي قوام بناء الأمة، وسبب الأمن من هلاكها وفنائها، فلا يمكن التعايش بين الأفراد بغيرها، وأي مجتمع لا يرتبط أفراده فيما بينهم بروابط أخلاقية متينة، لا ينعم بالسلم والوئام، وإنما يتفكك ويتصارع مما يؤدي بهم إلى الهلاك.

ونتناول علاقة الأخلاق بالسلم المجتمعي في مطلبين:

الأول: أهمية الأخلاق ومكانتها.

والثاني: أهمية البناء الأخلاقي للمجتمعات في ضوء نموذج مجتمع المدينة.

المطلب الأول

أهمية الأخلاق ومكانتها

الأخلاق في الإسلام ليست فضيلة منفصلة، وإنما هي حلقة متصلة الحلقات مع الشريعة الإسلامية كلها تنبت في العقيدة وتثمر في المعاملة مع الخلق، فالقواعد الأخلاقية لا تنفك عن القواعد الدينية ولا تنفصم عنها في مقاصدها. قال الله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧]

فهذه الآية تجمع الكمالات الإنسانية الثلاثة: الاعتقاد الصحيح، وحسن العشرة، وتهذيب النفوس، فمن استجمع هذه الثلاثة استحق وصف الصدق نظرا إلى إيمانه واعتقاده بالتقوى، واعتبارا بمعاشرته للخلق، ومعاملته مع الحق.

وسوف نبرز أهمية الأخلاق في الإسلام في العناصر التالية:

أولا: بعث النبي – ﷺ – ليتمم مكارم الأخلاق:

تعد الأخلاق أبرز معالم الإسلام وخصائصه، ولا أدل على ذلك من حصر مهمة الرسالة الخاتمة لنبينا محمد – ﷺ – في تلاوة القرآن الكريم ثم تزكية النفوس من الشرك والسمو بالنفس الإنسانية عن الرذائل، حتى تصل إلى الغاية التي خلقه الله لها، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ [الجمعة: ٢]

والتزكية هي: إكساب الزكاة وهي نماء النفس بما هو لها بمنزلة الغذاء للجسم. وأصل التزكية نفي ما يستقبح قولا أو فعلا، وحقيقتها الإخبار عما ينطوي عليه الإنسان(١).

قال ابن كثير: ويزكيهم، أي: يطهرهم من رذائل الأخلاق ودنس النفوس وأفعال الجاهلية، ويخرجهم من الظلمات إلى النور(٢).

قال الشاطبي: "والشريعة إنما هي تَخَلُّق بمكارم الأخلاق، ولهذا قال - ﷺ -: "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"(٣).

قال ابن عاشور: والمراد ما اشتملت عليه الشريعة من تهذيب الأخلاق وتقنين الأحكام لأن ذلك كله مانع للأنفس من سوء الحال واختلال النظام(٤).

وإجمالا هي: التحلي بمكارم الأخلاق والتخلي عن سيئها، فيطهرهم من

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٩٦) المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب ٣٨ ش عبد الخالق ثروت.

(٢) تفسير ابن كثير، تحقيق: سلامة (٤٦٤/١)، تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبوالفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع.

(٣) الموافقات (١٢٤/٢)، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، ط: الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

(٤) التحرير والتنوير (١٥٩/٤) «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي.

رذائل الأخلاق، ودناءة النفوس.

إن أثر الدين الصحيح هو اصلاح القوم الذين خوطبوا به والنهوض بهم من الانحطاط إلى السمو، ومن هنا كانت الأخلاق هدفا لبعثة رسول الله – ﷺ – عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ –: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ"(١).

قال ابن عبد البر: ويدخل في هذا المعنى الصلاح والخير كُله، والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل، فبذلك بعث ليتممه(٢).

وقد وصف الله تعالى قائد البشرية ومعلمها بقوله – ﷺ –: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

قال الطبري: وإنك يا محمد لعلى أدب عظيم، وذلك أدب القرآن الذي أدّبه الله به، وهو الإسلام وشرائعه(٣).

قال ابن عاشور: والخلق العظيم: هو الخلق الأكرم في نوع الأخلاق، وهو البالغ أشد الكمال المحمود في طبع الإنسان. فجعل أصل شريعته إكمال ما يحتاجه البشر من مكارم الأخلاق في نفوسهم، فكما جعل الله رسوله

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥١٣/١٤) بسند حسن، رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان، فقد روى له مسلم متابعة، وهو قوي الحديث.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٣٣٤/٢٤)، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري.

(٣) تفسير الطبري (٥٢٨/٢٣) = جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد ابن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر.

- ﷺ - على خلق عظيم جعل شريعته لحمل الناس على التخلق بالخلق العظيم بمنتهى الاستطاعة. وبهذا يزداد وضوحا معنى التمكن الذي أفاده حرف الاستعلاء في قوله: ﴿ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] فهو متمكن منه الخلق العظيم في نفسه، ومتمكن منه في دعوته الدينية.

واعلم أن جماع الخلق العظيم الذي هو أعلى الخلق الحسن هو التدين، ومعرفة الحقائق، وحلم النفس، والعدل، والصبر على المتاعب، والاعتراف للمحسن، والتواضع، والزهد، والعفة، والعفو، والحياء، والشجاعة، وحسن الصمت، والتؤدة، والوقار، والرحمة، وحسن المعاملة والمعاشرة.

والأخلاق كامنة في النفس ومظاهرها تصرفات صاحبها في كلامه، وطلاقة وجهه، وثباته، وحكمه، وحركته وسكونه، وطعامه وشرابه، وتأديب أهله، وما يترتب على ذلك من حرمته عند الناس، وحسن الثناء عليه والسمعة. وأما مظاهرها في رسول الله - ﷺ - ففي ذلك كله وفي سياسته أمته، وفيما خص به من فصاحة كلامه وجوامع كلمه.[١]

ثانيا: الأخلاق مناط تفاضل المؤمنين

المتأمل في الهدي القرآني والسنة النبوية يجد المبادئ الأخلاقية في جل تشريعاته، فلا ينفك ينهي عن الفحشاء والمنكر والمن والأذى، ويأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى الضعفاء ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠] حيث أعادت تربية المجتمع على حسن الخلق، وشاع ذلك في جل الأوامر والنواهي في القرآن والسنة.

---

(١) التحرير والتنوير (٢٩/٦٤، ٦٥).

وارتبطت الأخلاق بالعقيدة، فالخلق الحسن جزء لا يتجزأ من الإيمان حين ربط الله بين الأمر بعبادته وبين الإحسان إلى الخلق، والوفاء بالعهد والصبر: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧]

قال البيضاوي: الآية كما ترى جامعة للكمالات الإنسانية بأسرها، دالة عليها صريحا أو ضمنا، فإنها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلاثة أشياء: صحة الاعتقاد، وحسن المعاشرة، وتهذيب النفس ... ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا إلى إيمانه واعتقاده بالتقوى، واعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق[١].

وقد عد إطعام الطعام وإفشاء السلام من خير خصال الإسلام، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو – م – أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ – ﷺ –: أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»[٢].

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/١٢١)، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: إطعام الطعام من الإسلام (١/١٢).

ولهذا كان التفاضل بين المؤمنين بحسن الخلق. وعبر ابن القيم عن ذلك فقال: الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق، زاد عليك في الدين(١).

ولا شك أن حسن المعاشرة وتهذيب النفس هما مكارم الأخلاق. وقد جعل الله تعالى أسباب الفلاح أمرين: عبادة تصل المؤمن بخالقه فتقوم حياته على قاعدة ثابتة من الإيمان. وفعل الخير الذي تستقيم به الحياة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧] وكل ما أمر به الشارع يجمع بين حق الله وحق الإنسان، وفيه الخير للناس في الدنيا والآخرة.

والأخلاق الحسنة من علامات الخيرية، وكلما قوي الإيمان أثمر أخلاقا قويمة؛ ولذلك كان خير المسلمين أحسنهم أخلاقا، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو – م – قَالَ: " لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ – ﷺ – فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا»(٢).

بل يبلغ ثواب حسن الخلق درجة قيام الليل عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ –: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الْقَائِمِ بِاللَّيْلِ»(٣).

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/٢٩٤)، المؤلف: محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المناقب، باب: صفة النبي– ﷺ – (٤/١٨٩).

(٣) البخاري في الأدب المفرد، بَابُ: حُسْنِ الْخُلُقِ إِذَا فَقِهُوا، (ص ١٠٧) ح (٢٨٤)، وقال الشيخ الألباني: صحيح، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط: الثالثة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

ثالثا: التلازم بين التعريف بالإسلام وبين مكارم الأخلاق:

لمكانة الأخلاق في الإسلام رأينا التلازم بين التعريف بالإسلام وبين مكارم الأخلاق وهذا ما فعله جعفر بن أبي طالب في حديثه للنجاشي – في الحديث الطويل الذي أخرجه الإمام أحمد – ونذكر منه موضع الشاهد: " فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ «فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ»(١).

وقد أجاد جعفر بن أبي طالب – ﷺ – في التعريف بالإسلام حيث عدد مساوئ أخلاق الجاهلية بصورة تنفر منها أصحاب الفطر السليمة، ثم عرض شخصية الرسول – ﷺ – في هذا المجتمع الآسن المليء بالرذائل، وكيف كان بعيدًا عن النقائص كلها، ومعروفًا بنسبه وصدقه وأمانته وعفافه، متحليا

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٠١/١، ٢٠٢)، (٢٩٠/٥)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٧١/٤، ٧٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٢٧/٦): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير إسحاق، وقد صرح بالسماع، والطبراني في المعجم الكبير للطبراني (١١١/٢) مختصرا.

بمكارم الأخلاق.

كما أظهر محاسن الإسلام وأخلاقه من نبذ الأوثان، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، والانتهاء عن الفواحش وقول الزور وقدم هذه المكارم على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة.

رابعا: **الجرائم الأخلاقية تنفي الإيمان**:

نصت الأحاديث النبوية على تعظيم حق الإنسان والنهي عن إيذائه قولا أو فعلا، وعد ذلك منتقصا من الإيمان منافيا له حتى ولو كان على غير دين الإسلام وفي هذا حفظ لأمن الفرد والجماعة.

قتل المعاهد:

إن ترك الوفاء بالعهد والغدر بالمعاهد ليست من أخلاق الإسلام، وقد شدد رسول الله على حفظ أهل الذمة والمعاهدين أنفسهم وأموالهم، وتوعد من غدر بهم بعدم دخول الجنة، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو – م – عَنِ النَّبِيِّ – ﷺ – قَالَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»(١).

وبهذا نعرف عدوان وظلم وضلال أولئك المغرورين الذين يعتدون على أموال الكفار المعاهدين سواء كان الكافر عندك في بلدك وهو معاهد، أو أنت في بلده.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجزية، باب: إثم من قتل معاهدا بغير جرم (٩٩/٤).

فمن السعادة أن يعيش المرء في بيئة يشعر فيها بالأمن والتحاب، ومن الشقاء أن يعيش بين من يضمرون له العداوة والبغضاء والحسد، وهذا من أسباب السلم النفسي والمجتمعي.

إيذاء الجار:

والجار السوء الذي يحرص على إلحاق الضرر بجاره بين رسول الله – ﷺ – أن من هذا خلقه فإنه خال القلب من الإيمان وهل المسلم إلا من سلم المسلمون من لسانه ويده. بل قد جعل المسلم الذي يسلم من لسانه ويده الآخرين خير وأعظم أجرا من غيره عَنْ أَبِي مُوسَى – ﷺ – قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ، وَيَدِهِ»(١).

ونفى الإيمان عن الجار الذي لا يأمنه جاره عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ، أَنَّ النَّبِيَّ – ﷺ – قَالَ: «وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ» قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ»(٢) في هذا الحديث تأكيد حق الجار لقسمه – ﷺ – على ذلك وتكريره اليمين ثلاث مرات، وفيه نفي الإيمان عمن يؤذي جاره بالقول أو الفعل ومراده الإيمان الكامل ولا شك أن العاصي غير كامل الإيمان (٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: أي الإسلام أفضل ؟ (١١/١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: إثم من لا يأمن جاره بوايقه (١٠/٨).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٤٤٤/١٠) المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت ١٣٧٩هـ.

السب واللعن:

إن صاحب الخلق العظيم قدوتنا في القول والفعل: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ- ﷺ - سَبَّابًا، وَلاَ فَحَّاشًا، وَلاَ لَعَّانًا، كَانَ يَقُولُ لِأَحَدِنَا عِنْدَ المَعْتِبَةِ: «مَا لَهُ تَرِبَ جَبِينُهُ»(١).

الفرق بين هذه الثلاثة ؟ اللعنة: **متعلقة بالآخرة لأنها هي البعد عن رحمة الله تعالى،** والسب: **يتعلق بالنسب كالقذف،** والفحش: **بالحسب. قوله: (عند المعتبة) مذاكرة الموجدة.**

قوله: (ماله؟ استفهام وترب جبينه) إذا أصابه التراب، وهذه كلمة جرت على لسان العرب ولا يراد حقيقتها(٢).

وقد زجر النبي - ﷺ - المسلم عن السباب وأنه ليس من أخلاق المؤمنين الذين وصفهم الله تعالى بالرحمة بينهم والتعاون على البر والتقوى وجعلهم كالبنيان يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد فمن سب أخيه خرج من الإيمان حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ: «سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: ما ينهى من السباب واللعن (١٥/٨) عن أنس بن مالك.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١١٧/٢٢) المؤلف: أبو محمد محمود ابن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - عدد الأجزاء: ٢٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر (١٩/١).

سباب المسلم فسوق؛ لأن عرضه حرام كتحريم دمه وماله، والفسوق في لسان العرب: الخروج من الطاعة، فينبغي للمؤمن ألا يكون سبابا ولا لعانا للمؤمنين ويقتدى في ذلك بالنبي – ﷺ – لأن السب سب الفرقة والبغضة، فكما لا ينبغي سب أخيه في النسب كذلك لا ينبغي سب أخيه في الإسلام ولا ملاحاته(١).

إن القول الهجر ما يصلح أن يخرج من شفتي المسلم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ –: «لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ»(٢).

الهمز واللمز:

راقب الإسلام الأفراد في جميع أحوالهم؛لنشر الفضيلة في المجتمع وليس تنظيرها وتعريفها، إن النهي عن الهمز واللمز مراعاة للمشاعر الإنسانية بين أفراد المجتمع وهي أبسط أنواع الإيذاء ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾ [الهمزة: ١].

قال الرازي بعد أن ساق جملة من أقوال العلماء في معنى الهمز واللمز والفرق بينهما: جميع هذه الوجوه متقاربة راجعة إلى أصل واحد وهو الطعن وإظهار العيب، ثم هذا على قسمين فإنه إما أن يكون بالجد كما يكون عند الحسد والحقد، وإما أن يكون بالهزل كما يكون عند السخرية والإضحاك، وكل واحد من القسمين، إما أن يكون في أمر يتعلق بالدين، وهو ما يتعلق بالصورة أو المشي، أو الجلوس وأنواعه كثيرة وهي غير مضبوطة، ثم إظهار

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/٢٤١).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب: البر والصلة، باب: ما جاء في اللعنة (٤/٣٥٠)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ هَذَا الوَجْهِ.

العيب في هذه الأقسام الأربعة قد يكون لحاضر وقد يكون لغائب، وعلى التقديرين فقد يكون باللفظ، وقد يكون بإشارة الرأس والعين وغيرهما، وكل ذلك داخل تحت النهي والزجر(١).

الهمز واللمز رذيلتان مركبتان من الجهل والغضب والكبر لأنهما يتضمنان الأذية وطلب الترفع على الناس وصاحبهما يريد أن يتفضل على الناس ولا يجد في نفسه فضيلة يترفع بها فينسب العيب والرذيلة إليهم ليظهر فضله عليهم ولا يشعر أن ذلك عين الرذيلة وان عدم الرذيلة ليس بفضيلة فهو مخدوع من نفسه وشيطانه موصوف برذيلتي القوة النطقية والغضبية(٢).

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٨٤/٣٢).
(٢) روح البيان (٥٠٨/١٠) المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.

المطلب الثاني

أهمية البناء الأخلاقي للمجتمعات في ضوء نموذج مجتمع المدينة

هاجر رسول الله – ﷺ – من مكة إلى المدينة، وقد تنوع ساكنيها فهي تضم قبائل عربية، أهمها: الأوس والخزرج، كما تضم قبائل من اليهود: بنو النضير وبنو قينقاع وبنو قريظة وعلى مقربة منهم خيبر وهم أيضا من السكان الأصليين، يضاف إلى ذلك المهاجرين من المسلمين من قريش وهم الأكثر ومن دخل في الإسلام من القبائل الأخرى. ولا يخفي أن مجتمع كهذا متعدد الجنسيات يحتاج إلى تدريب وتعليم وتقنين حتى يتآلف. وكانت الإجراءات التي تم اتخاذها في مجتمع المدينة هي: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وموادعة اليهود وكتابة كتابا بذلك لكل قبيلة من القبائل على حدة؛ لئلا يؤخذ أحد بجريرة غيره، وحتى يظل المجتمع متماسكا لحمته وسداه.

يقول مالك بن نبي: كان أول عمل قام به المجتمع الإسلامي هو الميثاق الذي يربط بين الأنصار والمهاجرين. وكانت الهجرة نقطة البداية في التاريخ الإسلامي، لا لأنها تتفق مع عمل شخصي قام به النبي – ﷺ –، ولكن لأنها تتفق مع أول عمل قام به المجتمع الإسلامي، أي مع تكوين شبكة علاقاته المجتمعية(١).

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

(١) ميلاد مجتمع (ص: ٢٦)، المؤلف: مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (ت: ١٣٩٣هـ)، ترجمة: ترجمة عبد الصبور شاهين، الناشر: دار الفكر – الجزائر / دار الفكر دمشق – سورية، ط: الثالثة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ١.

المتأمل في المجتمع المدني بعد الهجرة يجد أن المهاجرين من قريش تركوا ديارهم وأموالهم، فلا يملكون نقيرا، وأن إخوانهم الأنصار في ديارهم وأموالهم وهم آووا إخوانهم فآخى النبي - ﷺ - بينهم فيقوم غنيهم بفقيرهم، وأقويائهم بضعفائهم.

وقبل الحديث عن المؤاخاة نبين معنى الأخ: اسم يراد به المساوي والمعادل، وأصل أخو: المشارك آخر في الولادة من الطرفين، أو من أحدهما أو من الرضاع. ويستعار في كل مشارك لغيره في القبيلة، أو في الدّين، أو في صنعة، أو في معاملة أو في مودّة، وفي غير ذلك من المناسبات(١).

قال ابن إسحاق: وآخى رسول الله - ﷺ - بين أصحابه من المهاجرين والأنصار(٢).

أقام الرسول - ﷺ - المدينة على الإخاء الكامل؛ الإخاء الذي تمحى فيه كلمة «أنا»، ويتحرّك الفرد فيه بروح الجماعة ومصلحتها وآمالها، ويتألم لألمها فلا يرى لنفسه كيانا دونها، ولا امتدادا إلا فيها.

---

(١) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص: ١٣١)، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة – لبنان - بيروت، المفردات في غريب القرآن (ص: ٦٨).

(٢) سيرة ابن هشام (١٠٨/٢) = السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام ابن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ)، المحقق: طه عبد الرءوف سعد، الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة - عدد الأجزاء: ٢.

هذا الإخاء انتفت معه عصبيات الجاهلية، وذاب الأفراد في بوتقة الجماعة، فلا حمية إلا للإسلام. وسقطت فوارق النّسب واللون والوطن، فلا يتأخّر أحد أو يتقدّم إلا بمروءته وتقواه.

لم تكن هذه الأخوة عقدا يوقع ولا ينفذ كالمعاهدات الصورية، أو ألفاظا رنانة تثرثرها الألسنة، وتلوكها الأفواه وتتشدق بها بل كانت حقيقة واقعة مطبقة على الأنفس والأموال. فرأينا الإيثار والمواساة والمؤانسة في هذا المجتمع تضرب أروع الأمثال.

هذه المؤاخاة أذهبت الوحشة والشعور بالغربة عن المهاجرين إلى المدينة، الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم وأهليهم، وضرب الأنصار أروع الأمثلة في كفالة المهاجرين، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ – ﷺ –: لَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ سَعْدُ ابْنُ الرَّبِيعِ: إِنِّي أَكْثَرُ الأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي، وَانْظُرْ أَيَّ زَوْجَتَيَّ هَوِيتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا، فَإِذَا حَلَّتْ، تَزَوَّجْتَهَا، قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لاَ حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: سُوقُ قَيْنُقَاعٍ، قَالَ: فَغَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَأَتَى بِأَقِطٍ وَسَمْنٍ، قَالَ: ثُمَّ تَابَعَ الغُدُو ... الحديث(١).

قال ابن الجوزي: وهذه المؤاخاة كانت في أول سنة من سني الهجرة، وعامتها بين المهاجرين والأنصار، ولها سببان:

أحدهما: أنه أجراهم على ما كانوا ألفوا في الجاهلية من الحلف، فإنهم كانوا يتوارثون بالحلف، فنفاه وأثبت من جنسه المؤاخاة، لأن الإنسان إذا فطم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: مناقب الأنصار، باب: إخاء النبي – ﷺ – بين المهاجرين والأنصار (٥/٣١).

عما يألفه علل بجنسه.

والثاني: أن المهاجرين قدموا محتاجين إلى المال والمنازل، فنزلوا على الأنصار، فأكد هذه المخالطة بالمؤاخاة، ولم يكن بعد غزاة بدر مؤاخاة، لأن الغنائم وقعت بالقتال، فاستغنى المهاجرون بما كسبوا(١).

وإن كان عبدالرحمن بن عوف تعفف عن مقاسمة أخيه سعد بن الربيع ماله، فقد قبل البعض الآخر منيحة الأنصار، ومنهم: مولاة النبي – ﷺ – أم أيمن مولاة النبي– ﷺ –، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ، مِنْ مَكَّةَ، الْمَدِينَةَ قَدِمُوا وَلَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ، وَكَانَ الْأَنْصَارُ أَهْلَ الْأَرْضِ وَالْعَقَارِ، فَقَاسَمَهُمُ الْأَنْصَارُ عَلَى أَنْ أَعْطَوْهُمْ أَنْصَافَ ثِمَارِ أَمْوَالِهِمْ، كُلَّ عَامٍ، وَيَكْفُونَهُمُ الْعَمَلَ وَالْمَئُونَةَ، وَكَانَتْ أُمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَهِيَ تُدْعَى أُمَّ سُلَيْمٍ، وَكَانَتْ أُمَّ عَبْدِاللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، كَانَ أَخًا لِأَنَسٍ لِأُمِّهِ، وَكَانَتْ أَعْطَتْ أُمُّ أَنَسٍ رَسُولَ اللهِ – ﷺ – عِذَاقًا لَهَا، فَأَعْطَاهَا رَسُولُ اللهِ – ﷺ – أُمَّ أَيْمَنَ، مَوْلَاتَهُ، أُمَّ أُسَامَةَ ابْنِ زَيْدٍ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ – ﷺ – لَمَّا فَرَغَ مِنْ قِتَالِ أَهْلِ خَيْبَرَ، وَانْصَرَفَ إِلَى الْمَدِينَةِ، رَدَّ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى الْأَنْصَارِ مَنَائِحَهُمُ الَّتِي كَانُوا مَنَحُوهُمْ مِنْ ثِمَارِهِمْ، قَالَ: فَرَدَّ رَسُولُ اللهِ – ﷺ – إِلَى أُمِّي عِذَاقَهَا، وَأَعْطَى رَسُولُ اللهِ – ﷺ – أُمَّ أَيْمَنَ مَكَانَهُنَّ مِنْ حَائِطِهِ(٢).

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/٢٢٠)، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم من الشجر والثمر (٣/١٣٩١).

لما قدم المهاجرون آثرهم الأنصار بمنائح من أشجارهم: فمنهم من قبلها منيحة محضة، ومنهم من قبلها بشرط أن يعمل في الشجر والأرض وله نصف الثمار ولم تطب نفسه أن يقبلها منيحة محضة هذا لشرف نفوسهم وكراهتهم أن يكونوا كلّا ... فلما فتحت عليهم خيبر استغنى المهاجرون بأنصبائهم فيها عن تلك المنائح فردوها إلى الأنصار. ففيه فضيلة ظاهرة للأنصار في مواساتهم وإيثارهم وما كانوا عليه من حب الإسلام وإكرام أهله وأخلاقهم الجميلة ونفوسهم الطاهرة وقد شهد الله تعالى لهم بذلك(١).

وهكذا أصبحت رابطة الأخوة وثيقة بين المسلمين وتسنى لهم التعارف والتواصل والاتحاد على اختلاف أنسابهم وأعراقهم. وتمكن غرس هذه الأخوة في النفوس بأمرين:

الأمر الأول: صريح آيات الله – ﷻ –، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ هذا عقد، عقده الله بين المؤمنين، أنه إذا وجد من أي شخص كان، في مشرق الأرض ومغربها، الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فإنه أخ للمؤمنين، أخوة توجب أن يحب له المؤمنون، ما يحبون لأنفسهم، ويكرهون له، ما يكرهون لأنفسهم(٢).

الأمر الثاني: أقوال رسوله – ﷺ – ومنها: عن النعمان بن بشير قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ –: «تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ،

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٢/٩٩).

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٠٠).

كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى»(١).

شبه النبي – ﷺ – الإيمان بالجسد وأهله بالأعضاء؛ لأن الإيمان أصل وفروعه التكاليف فإذا أخل المرء بشيء من التكاليف شان ذلك الإخلال الأصل. وكذلك الجسد أصل كالشجرة وأعضاؤه كالأغصان فإذا اشتكى عضو من الأعضاء اشتكت الأعضاء كلها كالشجرة إذا ضرب غصن من أغصانها اهتزت الأغصان كلها بالتحرك والاضطراب(٢).

وهذه الأخوة محفوفة بقانون العدل والمساواة عن عَبْد اللَّهِ بْنَ عُمَرَ – م –، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – قَالَ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»(٣) فلا يظلم المسلم أخيه بأخذ حقه أو انتقاصه في نفسه أو

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم (١٠/٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم (٢٥٨٦).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٣٩/١٠)، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت ١٣٧٩هـ – رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي – قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب – عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله ابن باز – عدد الأجزاء: ١٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المظالم، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (١٢٨/٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم (١٩٩٦/٤).

ماله أو عرضه؛ طيبا أو فاسقا، ولا يسلمه أي يتركه مع من يؤذيه ولا فيما يؤذيه بل ينصره ويدفع عنه، ويسعى في مصالحه المالية أو العلمية، أو الأدبية. بل يسعي في تخفيف البلايا التي تحل بأخيه المسلم في الحياة الدنيا ليفرج الله عنه كربات يوم القيامة.

وهذه الإجراءات شكلت البناء الأخلاقي للمجتمع المدني، ورسخت قيم التعايش السلمي بين أفراده على اختلافهم.

موادعة اليهود:

كتب رسول الله – ﷺ – – كتابا بين المهاجرين والأنصار ووادع فيه اليهود وعاهدهم، وأقر حق اختيار الدين ولم يكره أحد على اعتناق الإسلام، وأقرهم على رباعهم ودورهم، ونصت هذه الوثيقة على التناصر بين جميع طوائف أهل المدينة ودفع الظلم عن بعضهم البعض عنهم، وأنهم جميعا يد على من اعتدى على المدينة. وتعد هذه الوثيقة أول وثيقة للتعايش السلمي الأخلاقي القائم على العدل والمساواة.

وجاء في هذا الكتاب على ما ذكر أصحاب السير: قال ابن إسحاق: وكتب رسول الله – ﷺ – كتابا بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي – ﷺ –، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم[١] يتعاقلون، وإن اليهود

---

(١) ربعتهم: رباعة الرجل: شَأْنه وحاله الَّذِي هُوَ رَابِع عَلَيْهَا أَي ثَابت مُقيم. الفائق في غريب الحديث (٢/٢٥).

ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ[1] إلا نفسه، وأهل بيته، وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف، ثم ذكر قبائل اليهود جميعا ...

وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله - ﷻ -، وإلى محمد رسول الله - ﷺ - وإن الله على أتقى[2] ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه، فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم، وإن يهود الأوس، مواليهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة. مع البر المحض

---

(١) يوتغ: أَي لَا يهْلك إِلَّا نَفسه. الفائق في غريب الحديث (٢/٢٦).

(٢) أي: إن الله وحزبه المؤمنين على الرضى به. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام (٤/١٧٧)، المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ابن أحمد السهيلي (ت: ٥٨١هـ)، المحقق: عمر عبدالسلام السلامي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م - عدد الأجزاء: ٧.

؟ من أهل هذه الصحيفة[1].

هذه الوثيقة كانت بمثابة اتفاقية تعايش مشترك بين اليهود والمسلمين، توضح توجه النبي - ﷺ - إلى وضع سياسة الجمع لا التفريق والإبعاد أو الخصام، فقد دعا الجميع إلى السلم والموادعة وأقر اليهود وغيرهم من أهل الأوثان على دينهم وعاهدهم معاهدة الند للند.

وقد أكدت عبارتها على وحدة المجتمع فليس هناك أدنى إشارة إلى اضطهاد طائفة، أو إكراه ضعيف، بل نصرة المظلوم وحسن الجوار، والتعاون بين المسلمين واليهود في الدفاع عن المدينة ضد أي اعتداء خارجي، وأنهم جميعا يشتركون في صد المعتدي على أحدهم، وأن الظالم منهم لا يهلك إلا نفسه، وبذلك نشر رسول الله - ﷺ - السكينة في ربوع المدينة.

الأخلاق أساس بقاء الأمم:

من أسباب بقاء الأمم تماسك الأفراد وترابطهم بروابط أخلاقية، فلا يمكن التعايش والبقاء مع انعدام السلم والألفة، وأي مجتمع تنعدم الروابط الأخلاقية بين أفراده يتصارع ويهلك.

وقد بين الله - ﷻ - في كتابه العزيز أن هلاك الأمم لم يقع بسبب الكفر وحده، وإنما لما اقترن بالفساد، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود: ١١٧].

قال القرطبي: قوله تعالى: (القرى) أي أهل القرى. (بظلم) أي بشرك

---

(١) سيرة ابن هشام، تحقيق: السقا (١/٥٠١ - ٥٠٤) السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا.

وكفر. (وأهلها مصلحون) أي فيما بينهم في تعاطي الحقوق، أي لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده حتى ينضاف إليه الفساد، كما أهلك قوم شعيب ببخس المكيال والميزان، وقوم لوط باللواط، ودل هذا على أن المعاصي أقرب إلى عذاب الاستئصال في الدنيا من الشرك، وإن كان عذاب الشرك في الآخرة أصعب. وفي صحيح الترمذي من حديث أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ»[(١)(٢)].

وبالجملة فإن السلم المجتمعي ثمرة حسن الخلق، فحسن الخلق يوجب التآلف والتواد والتحاب، وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر. ومن تأمل مصارع الغابرين علم أن سبب فنائهم هو الفساد والانحلال الخلقي، كقوم شعيب وقوم لوط ...

وإذا تتبعنا قول رسول الله في أسباب هلاك الأمم السابقة وجدناها أسباب أخلاقية في المقام الأول. ومنها على سبيل المثال:

إقامة الحد على الضعيف وترك الشريف:

عَنْ عَائِشَةَ - ك -، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ -؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الفتن، باب: ما جاء في نزول العذاب إذا لم يُغَيَّر المنكر (٤/٤٦٨).

(٢) تفسير القرطبي (٩/١١٤) = أحكام القرآن، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، راجعه: محمد عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ –: " أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا "[(١)].

الشح والبخل من أسباب هلاك الأمم:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ – ﷺ –، قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»[(٢)].

عطف الشح الذي هو نوع من أنواع الظلم على الظلم؛ ليشعر بأن الشح أعظم أنواعه؛ لأنه من نتيجة حب الدنيا وشهواتها، ومن ثم علله بقوله: "فإن الشح أهلك من كان قبلكم"، ثم علله بقوله: "حملهم على أن سفكوا الدماء" على سبيل الاستئناف، فإن استحلال المحارم جامع لجميع أنواع الظلم، من الكفر، والمعاصي، وعطفه على سفك الدماء من عطف العام على الخاص عكس الأول، وإنما كان الشح سبب سفك الدماء، واستحلال المحارم؛ لأن في بذل الأموال، ومواساة الإخوان التحاب والتواصل، وفي الإمساك والشح التهاجر والتقاطع، وذلك يؤدي إلى التشاجر، والتغاور من سفك الدماء، واستباحة المحارم[(٣)].

الاختلاف على الأنبياء:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: حديث الغار (٤/١٧٥).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم (٤/١٩٩٦).
(٣) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (٤٠/٥٦٢).

حذر رسول الله من الاختلاف الذي فيه جحد الحق إذا كان مع الآخر، لا لدليل وإنما محض اتباع الهوى، وفساد النية لما في النفوس من الحسد والبغي والاستعلاء عن قبول الحق. ولذلك غضب رسول الله وعلل ذلك بأن الاختلاف كان سببا لهلاك من كان قبلنا من الأمم، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ – ﷺ –، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ – ﷺ – يَقْرَأُ خِلاَفَهَا، فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ – ﷺ – فَأَخْبَرْتُهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الكَرَاهِيَةَ، وَقَالَ: «كِلاَكُمَا مُحْسِنٌ، وَلاَ تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا»(١).

<u>الغلو في الدين:</u>

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ –: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»(٢) النهي عن الغلو في الدين، فإن هذه الشريعة سمحة مقسطة، تعطي الربَّ حقه، والبدن حقه. فإن الواجبات الشرعية وجبت لمصالح تعود إلى العبد في دينه ودنياه، وإن ملاحظة الشارع لتلك المصلحة هي السبب في الإيجاب على العبد(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: حديث الغار (١٧٥/٤).

(٢) أخرجه النسائي في سننه، كتاب: مناسك الحج، باب: التقاط الحصى (٢٦٨/٥)، ابن ماجة في سننه، كتاب: المناسك، باب: قدر حصى الرمي (١٠٠٨/٢)، وأخرجه أحمد (٢٩٨/٥)، والحاكم (٤٦٦/١) من طرق عن عوف، بهذا الإسناد. وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٣) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام (ص: ٣٣٩)، المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله ابن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد البسام (ت: ١٤٢٣هـ)، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وصنع فهارسه: محمد صبحي بن حسن حلاق، الناشر: مكتبة الصحابة، الأمارات.

فالأخلاق الفاضلة تمثل العناصر التي يستمد منها المجتمع قيمته وثقافته، ولذلك فهي تؤلف بين الأفراد على اختلاف شخصياتهم، وهو ما يحفظ على المجتمع استمراره وتطوره، وقد حدث المستورد بن شداد - ﷺ - حديثا عن النبي - ﷺ - وكون الروم أكثر الناس في آخر الزمان، قَالَ: قَالَ الْمُسْتَوْرِدُ الْقُرَشِيُّ، عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - يَقُولُ: «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ» فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو: أَبْصِرْ مَا تَقُولُ، قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ - ﷺ -، قَالَ: لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ، إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا: إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ: وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ[(١)].

(إنهم)؛ أي: الروم، (لأحلم الناس عند فتنة)؛ أي: أصبرهم عند وقوع فتنة، وابتلائهم بها، (وأسرعهم إفاقة) يقال: أفاق المجنون إفاقة: رجع إليه عقله، (بعد مصيبة) (وأشوكهم)؛ أي: أسرعهم (كرة)؛ أي: رجوعا إلى عدوهم، (بعد فره)؛ أي: بعد فرارهم عنهم؛ يعني: أن جيشهم بعد صولته، وانهزامه سريع الرجوع والهجوم على عدوه، (وخيرهم)؛ أي: أشفق الناس (لمسكين)؛ أي: فقير، (ويتيم) هو الذي مات أبوه، فيقومون بإصلاح حاله، (وضعيف) في الخلقة، كالزمن، والأعمى، والأعرج، أو بالمرض[(٢)]. فذكر عمرو بن العاص - ﷺ - خصال أخلاقية: الحلم، والقوة النفسية، والإحسان إلى

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: تقوم الساعة والروم أكثر الناس (٤/٢٢٢٢).

(٢) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (٣٢٢/٤٤).

الضعفاء، والعدل، وهذه الأخلاق هي التي تحفظ وجودهم، ووجود أي أمة من الأمم مرتبط بالأخلاق.

إن الحاجة إلى السلم ضرورة لاستمرار الحياة وعمارة الأرض، وانعدام السلم يؤدي إلى القلق والاضطراب، ويحول دون الاستقرار ولذلك كانت حالة عدم الأمن من علامات الساعة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ العَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَتَظْهَرُ الفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّمَ هُوَ ؟ قَالَ: «القَتْلُ القَتْلُ»(١).

يتقارب أحوال أهل زمان قيام الساعة في قلة الدين حتى لا يكون فيهم من يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر لغلبة الفسق وظهور أهله وقد يعترض بأن هذه الأمور وجدت في كل العصور، لكن المراد من الحديث استحكام ذلك حتى لا يبقى مما يقابله إلا النادر، فإن أهل هذا الزمان يكونون في سرعتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات والفساد كالطير، وفي العدوان وظلم بعضهم بعضا في أخلاق السباع العادية، وفي حديث ابن مسعود، عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ -، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ، إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الفتن، باب: ظهور الفتن (٤٨/٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: قرب الساعة (٢٢٦٨/٤).

المبحث الثاني
أثر الأخلاق في تحقيق السلم المجتمعي

أوجب الإسلام على المسلمين حقوقا لبعضهم على بعض، وهي حقوق متكافئة، للمسلم مثل ما عليه، لو أديت كفلت استقرار المجتمع المسلم وتوازنه، وتبني مجتمعا يسوده الحب والألفة، يعرف كل فرد فيه مكانه وحدود مسئوليته، وواجبه، بحيث لا يتعدى ذلك أو يقصر عنه.

للأخلاق عظيم الأثر في كل مجالات الحياة، وعلى رأسها المجال المجتمعي حيث هي تضع القواعد للسلوك الإنساني وتنظم علاقته بالآخرين، والمقصد العام للتشريع هو صلاح نظام الأمة بصلاح المهيمن عليه وهو الإنسان(١).

الأخلاق تنظم الحياة من الناحية العملية من أجل الحياة الخيرة مع الغير أيا كان هذا الغير إنسانا كان أم حيوانا أو غير حيوان من حيث ما ينبغي أن يكون عليه هذا السلوك كسلوك إنساني تجاه الغير، وذلك بناء على مكانته في الكون ومسئولياته التي يجب أن ينهض بها، وبناء على ما وضع له خالقه من أهداف في هذه الحياة ... النظام الأخلاقي ليس جزءا من نظام الإسلام العام، بل إن الأخلاق هي جوهر الإسلام وروحه السارية في جميع جوانبه، فالنظام الإسلامي عموما مبني على فلسفته الخلقية أساسا(٢).

وسنقتصر في تناول أثر الأخلاق في تحقيق السلم المجتمعي في مطلبين، وإلا فلها آثار عديدة:

المطلب الأول: أثر الأخلاق في إشاعة السلم ونشر الألفة والمحبة.

المطلب الثاني: أثر الأخلاق في الوسطية والاعتدال.

---

(١) ابن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية (ص: ٢٧٣).

(٢) علم الأخلاق الإسلامية (ص: ٤٧).

المطلب الأول

أثر الأخلاق في إشاعة السلم ونشر الألفة والمحبة

يقاس رقي المجتمعات بالتقدم المادي والمخترعات الحديثة في هذا العصر، بينما وجدنا المجتمعات تزداد فيها معدلات الجريمة ويزداد فيها التقاطع والتدابر بين أفرادها، فما قيمة التقدم في مكان لا يأمن أحد على نفسه من الاعتداء بالقتل أو السرقة أو غيرها، إن سيادة القيم الأخلاقية وإشاعة السلم يجب أن يكون المقياس الأول في الحضارة.

إن سيادة القيم الأخلاقية يحافظ على تماسك المجتمع وتلاحمه، ومتى انتشرت المحبة والألفة صار المجتمع آمنا مطمئنا يفيض تراحما وتواصلا وتعاونا على البر والتقوى.

الأوامر الأخلاقية التي تنشر السلم والألفة والمحبة:

أرسى الإسلام البناء الأخلاقي للمجتمع المسلم الذي يحقق السلم وينشر المودة، فأوجب على أفراده أداء حقوق الله كاملة موفرة، وأداء حقوق الناس كذلك، وأن يعاملهم بما يحب أن يعاملوه به، ويعفيهم مما يحب أن يعفوه منه، ويحكم لهم وعليهم بما يحكم به لنفسه وعليها.

ونعدد بعضا من الأوامر الأخلاقية العامة للفرد والمجتمع التي تنشر السلم والألفة والمحبة:

<u>القول الحسن:</u>

لا نبالغ إن ادعينا أن أهم القيم الأخلاقية التي تنشر الألفة والمحبة هي القول الحسن، فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس لينا، ووجهه منبسطا طلقا مع المسلم والكافر والبر والفاجر، والسني والمبتدع، شرط عدم المداهنة،

أو التكلم معه بكلام يظن أنه يرضي مذهبه قال تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣] هذا تأديب عظيم في مراقبة اللسان وما يصدر منه. والمقصد الأهم من هذا التأديب تأديب الأمة في معاملة بعضهم بعضا بحسن المعاملة وإلانة القول، لأن القول ينم عن المقاصد، بقرينة قوله: إن الشيطان ينزغ بينهم. ثم تأديبهم في مجادلة المشركين اجتنابا لما تثيره المشادة والغلظة من ازدياد مكابرة المشركين وتصلبهم فذلك من نزع الشيطان بينهم وبين عدوهم، قال تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤]. والمسلمون في مكة يومئذ طائفة قليلة وقد صرف الله عنهم ضر أعدائهم بتصاريف من لطفه ليكونوا آمنين، فأمرهم أن لا يكونوا سببا في إفساد تلك الحالة.

والنزغ: أصله الطعن السريع، واستعمل هنا في الإفساد السريع الأثر. وجملة إن الشيطان ينزغ بينهم تعليل للأمر بقول التي هي أحسن. والمقصود من التعليل أن لا يستخفوا بفاسد الأقوال فإنها تثير مفاسد من عمل الشيطان(١).

بل نبه المؤمنين على التزام الدعوة للبر وقول المعروف في المجالس الجانبية والمباحثات السرية، وهو ما يحقق نفع الناس وأمن المجتمع فيجب على المتناجيين مراعاة هذا الجانب، وأن يكون رأيه مصاحب للتقوى والبر في السر والعلن، فالله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

---

(١) التحرير والتنوير (١٥/١٣١، ١٣٢).

﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [النساء: ١١٤].

ذكر من أعمال الخير ثلاثة أنواع: الأمر بالصدقة، والأمر بالمعروف، والإصلاح بين الناس، وإنما ذكر الله هذه الأقسام الثلاثة، وذلك لأن عمل الخير إما أن يكون بإيصال المنفعة أو بدفع المضرة، أما إيصال الخير فإما أن يكون من الخيرات الجسمانية وهو إعطاء المال، وإليه الإشارة بقوله إلا من أمر بصدقة وإما أن يكون من الخيرات الروحانية، وهو عبارة عن تكميل القوة النظرية بالعلوم، أو تكميل القوة العملية بالأفعال الحسنة، ومجموعهما عبارة عن الأمر بالمعروف، وإليه الإشارة بقوله أو معروف وأما إزالة الضرر فإليها الإشارة بقوله أو إصلاح بين الناس فثبت أن مجامع الخيرات مذكورة في هذه الآية[١].

العدل والإحسان:

العدل هو المساواة في المكافأة إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، والإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه، والشر بأقل منه[٢].

وقد أمر الله تعالى في كتابه الكريم بالعدل والإحسان في آيات عديدة ومن أجمع الآيات، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [النحل: ٩٠] قال ابن العربي: الأولى: قوله تعالى: "بِالْعَدْلِ": وهو مع العالم، وحقيقته التوسط بين طرفي النقيض، وضده الجور، فالعدل بين العبد وربه إيثار حق الله على حظ نفسه، وتقديم رضاه على هواه، والاجتناب للزواجر، والامتثال للأوامر.

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢١٨/١١).
(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٥٥٢).

وأما العدل بينه وبين نفسه فمنعها عما فيه هلاكها، وعزوب الأطماع عن الاتباع، ولزوم القناعة في كل حال، ومعنى. وأما العدل بينه وبين الخلق ففي بذل النصيحة، وترك الخيانة فيما قل وكثر، والإنصاف من نفسك لهم بكل وجه، ولا يكون منك إلى أحد مساءة بقول ولا فعل، لا في سر ولا في علن، حتى بالهم والعزم، والصبر على ما يصيبك منهم من البلوى، وأقل ذلك الإنصاف من نفسك وترك الأذى.

الإحسان: وهو في العلم والعمل: فأما في العلم فبأن تعرف حدوث نفسك ونقصها، ووجوب الأولية لخالقها وكماله. وأما الإحسان في العمل فالحسن ما أمر الله به، حتى إن الطائر في سجنك، والسنور في دارك، لا ينبغي أن تقصر في تعهده، فقد ثبت في الصحيح عن النبي - ﷺ - «عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلاَ سَقَتْهَا، إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلاَ هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ[١] الأَرْضِ»[٢].

ويقال: الإحسان ألا تترك لأحد حقا، ولا تستوفي ما لك [٣].

فهذه أمهات الأخلاق العدل والإحسان، وبها عالج الإسلام الأمراض الإنسانية الحائلة دون عمل الخير. كالحقد والحسد والغل والأنانية وهيئه لكبح جماح الطمع، وتنمية جانب الخير، ليحف المجتمع الأمن والأمان، والبركة والنماء، وتنتشر الألفة بين أبنائه في تعاملهم.

---

(١) خشاش الأرض: يعني من هوام الأرض وحشراتها ودوابها وما أشبهها. لسان العرب (٦/٢٩٦)، النهاية في غريب الحديث (٢/٣٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المساقاة، باب: فضل سقي الماء (٤/١٧٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب: السلام، باب: تحريم قتل الهرة (٤/١٧٦٠).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي، ط: العلمية (٣/١٥٣ - ١٥٥).

وقدد عدد ابن القيم أركان حسن الخلق الأربعة لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل. فالصبر: يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم والأناة والرفق، وعدم الطيش والعجلة.

والعفة: **تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتحمله على الحياء. وهو رأس كل خير. وتمنعه من الفحشاء، والبخل والكذب، والغيبة والنميمة.**

والشجاعة: **تحمله على عزة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشيم، وعلى البذل والندى، الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته. وتحمله على كظم الغيظ والحلم. فإنه بقوة نفسه وشجاعتها يمسك عنانها، ويكبحها بلجامها عن النزغ والبطش. كما قال النبي- ﷺ -: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد: الذي يملك نفسه عند الغضب» وهو حقيقة الشجاعة، وهي ملكة يقتدر بها العبد على قهر خصمه.**

والعدل: **يحمله على اعتدال أخلاقه، وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط. فيحمله على خلق الجود والسخاء ... وعلى خلق الشجاعة، الذي هو توسط بين الجبن والتهور. وعلى خلق الحلم، الذي هو توسط بين الغضب والمهانة وسقوط النفس[1].**

وقد نهي رسول الله – ﷺ – عن ظلم المسلم أخيه: بأخذ حقه أو انتقاصه في نفسه أو ماله أو عرضه؛ طيبا أو فاسقا، ولا يسلمه أي يتركه مع من يؤذيه ولا فيما يؤذيه بل ينصره ويدفع عنه، ويسعى في مصالحه المالية؛ أو العلمية، أو الأدبية بل يسعي في دفع البلايا التي تحل بالمسلمين

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/٢٩٤).

في الحياة الدنيا، عن عَبْد اللَّهِ بْنَ عُمَرَ – م –، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – قَالَ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»(١) فأمر أولا بالعدل ثم أردف بالإحسان: بأن يكون في حاجة أخيه، ويفرج كربه المادي والمعنوي، ويستره فلا يفضحه.

التناصر:

التناصر: هو التعاون على العدو، يقال: نصره ينصره نصرا إذا أعانه على عدوه وشد منه؛ لأن كل واحد من المتناصرين ناصر ومنصور(٢).

من شأن الأفراد في المجتمعات التعاون والتكافل والتناصح والتكاتف فإذا سلمت النفوس من الحسد والبغضاء والغل، تحققت المودة والألفة وامتنعت الفرقة والتخاذل ووجب التناصر.

وأعاد رسول الله تغيير مفهوم النصرة التي تقتضيها الأخوة بأنها منعه عن الظلم، عَنْ أَنَسٍ –ﷺ– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ–: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ»(٣) يعني: أنه ينصره إن كان مظلوماً ويكون عوناً له، ويسعى في تخليصه من الظلم،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المظالم، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (١٢٨/٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم (١٩٩٦/٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٦٤/٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإكراه، باب: (٢٢/٩).

وإن كان ظالماً يسعى في تخليصه من الظلم، ويكفه عن الظلم.

وقد نفى رسول الله – ﷺ – الإيمان عمن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه، عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ – ﷺ – قَالَ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»(١).

قال ابن رجب: لما نفي النبي – ﷺ – الإيمان عمن لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه دل على أن ذلك من خصال الإيمان، بل من واجباته، فإن الإيمان لا ينفي إلا بانتفاء بعض واجباته، وإنما يحب الرجل لأخيه ما يحب لنفسه إذا سلم من الحسد والغل والغش والحقد، وذلك واجب(٢).

قال ابن بطال: ظاهر (الحديث) التساوي وحقيقته التفضيل، لأن الإنسان يحب أن يكون أفضل الناس، فإذا أحب لأخيه مثله، فقد دخل هو في جملة المفضولين، ألا ترى أن الإنسان يجب أن ينتصف من حقه ومظلمته، فإذا كمل إيمانه وكانت لأخيه عنده مظلمة أو حق، بادر إلى إنصافه من نفسه، وآثر الحق، وإن كان عليه فيه بعض المشقة(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١٢/١)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير (٦٧/١).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٥/١)، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن ابن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦٥/١)، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي ابن خلف بن عبد الملك (ت: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم – دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، ط: الثانية ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

المساواة في الحقوق والواجبات:

المساواة أن يكون للمرء مثل ما لأخيه من الحقوق وعليه مثل ما عليه من الواجبات دون زيادة أو نقصان. وهذه المساواة في الإنسانية أعلاها القرآن الكريم حين كرم بني آدم جميعا، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠] قال الرازي: اعلم أن الإنسان جوهر مركب من النفس، والبدن، فالنفس الإنسانية أشرف النفوس الموجودة في العالم السفلي، وبدنه أشرف الأجسام الموجودة في العالم السفلي(١).

وقال - ﷻ -: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

وفي حديث عقبة بن عامر أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «إِنَّ أَنْسَابَكُمْ هَذِهِ لَيْسَتْ بِسِبَابٍ عَلَى أَحَدٍ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ وَلَدُ آدَمَ طَفُّ(٢) الصَّاعِ لَمْ تَمْلَئُوهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ فَضْلٌ إِلَّا بِالدِّينِ أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ»(٣).

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٧٢/٢١).

(٢) الطف: أن يقرب الإناء من الامتلاء ولم يمتلئ. غريب الحديث (٥٠٤/٢)، النهاية (١٢٩/٣).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٤٥/٤، ١٥٨)، قال الهيثمي: رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وفيه لين، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد (١٥٩/٨)، وأخرجه ابن وهب في جامعه (٨٣/١) عبد الله بن وهب المصري، الناشر: دار ابن الجوزي – السعودية، ط: الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م، تحقيق: مصطفى أبو الخير.
ورواية ابن وهب عن ابن لهيعة قبل الاختلاط. قال ابن حجر: صدوق خلط بعد احتراق كتبه، ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما. تقريب التهذيب (ص: ٢٦٢). الحكم: حسن.

قال ابن الأثير: كلكم في الانتساب إلى أب واحد بمنزلة واحدة في النقص والتقاصر عن غاية التمام. وشبههم في نقصانهم بالمكيل الذي لم يبلغ أن يملأ المكيال، ثم أعلمهم أن التفاضل ليس بالنسب ولكن بالتقوى[١].

إن هذه النصوص تقرر لجميع الناس على اختلاف ألوانهم وأنسابهم وألسنتهم أصلهم الواحد الأسرة الأولى أبيهم آدم وحواء، فلا مكان للتناحر والخصام وإنما التعارف والتآلف.

إن الاختلاف لم يكن يوما داعيا للنزاع والشقاق، بل أراد الله لهم الاختلاف لأن التنوع يقتضي التعاون بين الجميع فكل يقضي حاجة أخيه، ولا يفضي إلى التنازع، فإن رغيف الخبز مر بسلسلة من البشر من زارع لحاصد لطاحن لخابز وهكذا فلا أحد يستطيع أن يقوم بكل حوائجه مهما بلغت مهارته، والله – ﷻ – جعلكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أي يعرف بعضكم بعضا، والمفاضلة إنما هي بالتقوى وهكذا يوزن الجميع بميزان واحد وتسقط جميع الفوارق من الجنس واللون. والله عز وجل هو الأعلم بالأتقى منكم فهو المطلع على الخفايا والقلوب.

قال ابن عاشور: لأنهم لما تساووا في أصل الخلقة من أب واحد وأم واحدة كان الشأن ألا يفضل بعضهم بعضا إلا بالكمال النفساني وهو الكمال الذي يرضاه الله لهم والذي جعل التقوى وسيلته ولذلك ناط التفاضل في الكرم بعند الله إذ لا اعتداد بكرم لا يعبأ الله به[٢].

---

(١) النهاية (١٢٩/٣).

(٢) التحرير والتنوير (٢٦٢/٢٦).

ونقصد بالمساواة في الحقوق والواجبات لأفراد المجتمع فلا يميز أحد للونه أو جنسه أو دينه، وهذا أحد أهم الأشياء التي تفضي إلى التنازع والهلاك، عَنْ عَائِشَةَ – ك –، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ – ﷺ –: " أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا "(1).

الحديث يدل على وجوب المساواة بين الشريف وغيره في الحدود التي شرعها الله، وعدم مراعاة الأهل والأقارب فيما يخالف الشرع وأن هذه المحاباة كانت سببا لهلاك الأمم السابقة، لنحذر أن تهلكنا(2).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: حديث الغار (٤/١٧٥).

(٢) فتح العلام بشرح الإعلام بأحاديث الأحكام (ص: ٦١٢).

المطلب الثاني
أثر الأخلاق في نشر الوسطية والاعتدال

خطا الإسلام خطواته لتماسك المجتمع لحمته وسداه بالعدل والإحسان وإزالة الفوارق والمساواة، ثم هو يحفظ الاعتدال الفكري والوسطية في التعامل مع المخالف ويتأكد ذلك بما دعا إليه من الأخلاق التي تسهم في نشر الوسطية والاعتدال وكان الشعار الثابت والقاعدة العلاقات الإنسانية مع المسلم وغيره، عموم قوله عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ -: «وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»(1). ومنها:

التوسط والاعتدال وترك الغلو:

الوسطية في الدين هي الخيرية والعدالة، وقد فضل الله تعالى أمة الإسلام من بين الأمم بأن جعلها أمة وسطا ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] وفسر الوسط بالخيار العدول، وبالتوسط بين طرفي النقيض، ولكل وجهه.

قال أبو جعفر: "الوسط" في هذا الموضع: الجزءُ الذي هو بين الطرفين، مثل "وسَط الدار" وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم"وسَط"، لتوسطهم في الدين، فلا هُم أهل غُلوٍّ فيه، غلوَّ النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه – ولا هُم أهلُ تقصير فيه، تقصيرَ اليهود الذين بدَّلوا

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده عن أبي ذر (٣٥/٢٨٤)، والترمذي في سننه، أبواب: البر والصلة، باب: ما جاء في معاشرة الناس (٤/٣٥٥)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

كتابَ الله، وقتلوا أنبياءَهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه. فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوْسطُها[1].

وقد قرر رسول الله يسر الدين ونهى عن الغلو حتى في العبادة وأمر بالقصد فيها؛ خشية الانقطاع والعجز أو الملل المؤدي للنقيض وهو ترك العبادة جملة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»[2].

فإذا كان الدين يسر فلا يكلف أحد نفسه ما لا يطيق، والزموا التوسط في الأعمال وقاربوا فيها الكمال إن لم تبلغوه، واستعينوا بأوقات النشاط.

ما خير رسول الله - ﷺ - أصحابه بين أن يختار لهم أمرين من أمور الدنيا على سبيل المشورة والإرشاد إلا اختار لهم أيسر الأمرين ما لم يكن عليهم في الأيسر إثم؛ لأن العباد غير معصومين من ارتكاب الإثم، ويحتمل أن يكون ما لم يكن إثما في أمور الدين، وذلك أن الغلو في الدين مذموم والتشديد فيه غير محمود[3].

وكان رسول الله يختار الأيسر من الأمور عَنْ عَائِشَةَ - ك -، أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا»

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان، تحقيق: شاكر (٣/١٤٢).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الدين يسر (١/١٦).
(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/٤٠٥).

في الحديث الحث على ترك الأخذ بالشيء العسر والاقتناع باليسر وترك الإلحاح فيما لا يضطر إليه ويؤخذ من ذلك الندب إلى الأخذ بالرخص ما لم يظهر الخطأ والحث على العفو إلا في حقوق الله تعالى والندب إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحل ذلك ما لم يفض إلى ما هو أشد منه، وفيه ترك الحكم للنفس وإن كان الحاكم متمكنا من ذلك بحيث يؤمن منه الحيف على المحكوم عليه لكن لحسم المادة [1].

وتتحقق الوسطية بالتوسط بين طرفي النقيض والقصد فلا يذهب مذهب الشدة، ولا يميل إلى الانحلال بل يتوسط ويعتدل منهجًا ومسلكًا كما هو وصف الإسلام وأمة الإسلام.

الاجتماع ونبذ الفرقة:

لما كان الإسلام دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، دعا الناس إلى الاجتماع تحته ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران: ١٠٣] ونبذ الفرقة، فأصل الإيمان ثابت في نفس كل مسلم، والتفاوت في الإتيان بمأمورات الدين، واجتناب منهياته لا يؤثر في انخرام الدين فالمعاصي لا تخرج المسلم من الدين، وكما حث أتباعه على تكثير سواد ودعوة الناس إليه أحاط دعوته بسياج يمنع أصحابه من ابعاد بعضهم بعضا من الدين. فمن رمى أخاه بالكفر إن لم يكن أهلا لذلك لا يبعد أن يكون هو الكافر، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - ﷺ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا»[2].

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٥٧٦/٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال (٢٦/٨).

معناه رجعت عليه نقيصته لأخيه ومعصية تكفيره. وقيل فقد رجع عليه تكفيره فليس الراجع حقيقة الكفر بل التكفير لكونه جعل أخاه المؤمن كافرا فكأنه كفر نفسه إما لأنه كفر من هو مثله وإما لأنه كفر من لا يكفره إلا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام(١).

<u>الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة:</u>

أمر الله تعالى نبيه أن يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، وهذه الأساليب الثلاثة لتناسب المدعوين من الناس، فلكل فئة طريقة دعوتها، يراعى فيها حال المدعو ويقابل الفكر بالفكر. قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

معناه: ادع الأقوياء الكاملين إلى الدين الحق بالحكمة، وهي البراهين القطعية اليقينية، وعوام الخلق بالموعظة الحسنة، وهي الدلائل اليقينية الإقناعية الظنية، والتكلم مع المشاغبين بالجدل على الطريق الأحسن الأكمل. ومن لطائف هذه الآية أنه قال: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فقصر الدعوة على ذكر هذين القسمين لأن الدعوة إذا كانت بالدلائل القطعية فهي الحكمة، وإن كانت بالدلائل الظنية فهي الموعظة الحسنة، أما الجدل فليس من باب الدعوة، بل المقصود منه غرض آخر مغاير للدعوة وهو الإلزام والإفحام فلهذا السبب لم يقل ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل الأحسن، بل قطع الجدل عن باب الدعوة تنبيها على أنه لا يحصل الدعوة، وإنما الغرض منه شيء آخر، والله أعلم(٢).

---

(١) شرح النووي على مسلم (٢/٥٠).
(٢) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٠/٢٨٧).

الدفع بالتي هي أحسن:

دفع جهالة الجاهل وسفاهة السفيه بأفضل الطرق من الصفح والمداراة، والقول اللين والبعد عن العنف، منهج للتعامل يفضي إلى انتهاء العداء، قال – ﷻ –: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤] ادفع بالتي هي أحسن يعني ادفع سفاهتهم وجهالتهم بالطريق الذي هو أحسن الطرق، فإنك إذا صبرت على سوء أخلاقهم مرة بعد أخرى، ولم تقابل سفاهتهم بالغضب ولا إضرارهم بالإيذاء والإيحاش استحيوا من تلك الأخلاق المذمومة وتركوا تلك الأفعال القبيحة. وإذا قابلت إساءتهم بالإحسان، وأفعالهم القبيحة بالأفعال الحسنة تركوا أفعالهم القبيحة وانقلبوا من العداوة إلى المحبة ومن البغضة إلى المودة(١).

أمر الله تعالى بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه، ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى، وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن لأنه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل(٢).

عن عَائِشَةَ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ – ﷺ – رَجُلٌ فَقَالَ: «ائْذَنُوا لَهُ، فَبِئْسَ ابْنُ العَشِيرَةِ – أَوْ بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ –» فَلَمَّا دَخَلَ أَلاَنَ لَهُ الكَلاَمَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتَ مَا قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ فِي القَوْلِ؟ فَقَالَ: «أَيْ عَائِشَةُ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ تَرَكَهُ – أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ – اتِّقَاءَ فُحْشِهِ»(٣).

قال الخطابي: يجمع هذا الحديث عِلْمًا، وأدبًا، وليس قول رسول الله

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٥٦٥/٢٧).

(٢) تفسير ابن كثير، تحقيق: سلامة (١١٤/١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: المداراة مع الناس (٣١/٨).

- ﷺ - في أمته بالأمور الَّتِي يَسِمُهم بها، ويضيفها إليهم من المكروه غِيبةً وإثمًا، كما يكون ذلك من بعضهم في بعض. بل الواجب عليه أن يبيِّن ذلك، ويفصح به، ويعرِّف النّاس أمره، فإن ذلك من باب النصيحة، والشفقة على الأمّة. ولكنَّه لِمَا جُبِلَ عليه من الكرم، وأُعْطِيَهُ من حسن الخلق، أظهر له من البشاشة ولم يَجْبَهَهُ بالمكروه، لتقتدي به أمّته في اتقاء شر من هذا سبيله، وفي مداراته ليسلموا من شرِّه، وغائلته(١).

وقد دخل على النبي نفر من اليهود وقالوا السام عليكم وهو الموت فما كان من رسول الله إلا قال وعليكم، فغضبت عائشة وقالا لعنكم الله وغضب عليكم فأمرها بالرفق، وهذا من كريم خلق النبي حيث بدأوه بالسب فما كان منه غير الصفح والإغضاء عنهم، ونهى عائشة عن الإغلاظ في الرد، عَنْ عَائِشَةَ –ك –: أَنَّ يَهُودَ أَتَوُا النَّبِيَّ – ﷺ – فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمُ اللَّهُ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ. قَالَ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالعُنْفَ وَالفُحْشَ» قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: «أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ»(٢).

يتبين من ذلك: أثر الأخلاق في نشر التوسط الذي هو سمة الأمة وضرورة دينية، وكم جلب الغلو فساد الأديان وفرق الناس شيعا، وأصابهم بالشتات في الأفكار، وكل هذه الأمور تؤثر على السلم المجتمعي بالسلب، وكانت هذه الأخلاق تمثل سياجا من الضمانات للمحافظة على السلم المجتمعي.

---

(١) أعلام الحديث (٢١٧٩/٣، ٢١٨٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: «لم يكن النبي – ﷺ – فاحشا ولا متفحشا» (١٢/٨).

نتائج البحث

- تميز الإسلام بكونه أوفى الأديان تهذيبا للنفوس وتقويما للأخلاق، وهو بذلك يشيد بناء الأمة تشييدا لا خلل فيه ولا ثغرة ويربط المجتمع بعضه ببعض في منظومة من السلم النفسي والأسري والمجتمعي.
- حقق رسول الله – ﷺ – السلم المجتمعي في المدينة المنورة فور قدومه إليها، بالرغم من تنوع ساكنيها واختلاف دينهم.
- القيم الأخلاقية من العدل والإحسان والعفة والشجاعة ضمان للسلم المجتمعي.
- تهدد الأمراض الأخلاقية السلم المجتمعي فلا تقوم معها نهضة ولا تستقيم معها حياة.
- القرآن الكريم والسنة النبوية أسسا دعائم واضحة لحسن الخلق، وإجراءات إذا تم تطبيقها تحقق السلم المجتمعي.

التوصيات:

- العناية بالجانب الأخلاقي، والتركيز على الاهتمام بما يؤلف القلوب ويجمعها؛ فكلما تمسك المسلمون بأخلاقيات التعامل الإسلامي الرشيد كلما ساد السلم المجتمعي.
- التركيز على الجانب الأخلاقي في المناهج الدراسية بما يسهم في إصلاح النفوس وتهذيبها.

المراجــــع

١. أحكام القرآن، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الثالثة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م – عدد الأجزاء: ٤.
٢. إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت – عدد الأجزاء: ٤.
٣. الأدب المفرد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ)، حققه وقابله على أصوله: سمير ابن أمين الزهيري، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، ط: الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م – عدد الأجزاء: ١.
٤. أعلام الحديث للخطابي، ط: جامعة أم القرى بمكة، سنة ١٤٠٩هـ.
٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية – ييروت، ط: الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م – عدد الأجزاء: ٤.
٦. البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، المؤلف: محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي، الناشر: دار ابن الجوزي، ط: الأولى ١٤٢٦ – ١٤٣٦هـ) – عدد الأجزاء: ١.
٧. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن

عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية – تونس – سنة النشر: ١٩٨٤هـ – عدد الأجزاء: ٣٠.

٨. التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م – عدد الأجزاء: ١.

٩. تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) –، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى ١٤١٨هـ.

١٠. تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة ١٤٢٠هـ.

١١. تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة ١٤٠٧هـ – عدد الأجزاء: ٤.

١٢. تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م – عدد الأجزاء: ١.

١٣.تفسير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد ابن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
١٤.تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م – عدد الأجزاء: ٨.
١٥.تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: الأولى ١٣٦٥هـ ١٩٤٦ م – عدد الأجزاء: ٣٠.
١٦.تقنيات ومناهج البحث في العلوم السياسية والاجتماعية، المؤلف: عبد الناصر جندلي – ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ٢٠٠٥م.
١٧.التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، المؤلف: أبو عمر يوسف ابن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب – عام النشر: ١٣٨٧هـ – عدد الأجزاء: ٢٤.
١٨.التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب ٣٨ ش عبدالخالق ثروت – القاهرة، ط: الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م – عدد الأجزاء: ١.

١٩. تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله ابن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد البسام (ت: ١٤٢٣هـ)، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وصنع فهارسه: محمد صبحي بن حسن حلاق، الناشر: مكتبة الصحابة، الأمارات - مكتبة التابعين، القاهرة، ط: العاشرة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م - عدد الأجزاء: ١.
٢٠. جامع ابن وهب- عبدالله بن وهب المصري، الناشر: دار ابن الجوزي، السعودية، ط: الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م، تحقيق: مصطفى أبو الخير.
٢١. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: السابعة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م - عدد الأجزاء: ٢ (في مجلد واحد).
٢٢. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، ط: الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م - عدد الأجزاء: ٢٠ جزءا (في ١٠ مجلدات).
٢٣. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، الناشر: مطبعة المدني، القاهرة - عدد الأجزاء: ١.
٢٤. روح البيان، المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.

٢٥.الـروض الأنـف فـي شـرح السـيرة النبويـة لابـن هشـام، المؤلـف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: ٥٨١هـ)، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م – عدد الأجزاء: ٧.
٢٦.السلم المجتمعي، مقوماته، وحمايته، مقال للشيخ حسن الصفار منشور بجريدة الشرق الأوسط ٢٠٠١/٦/١٥م.
٢٧.سـنن أبـي داود، المؤلـف: أبـو داود سـليمان بـن الأشـعث بـن إسـحاق ابـن بشـير بـن شـداد بـن عمـرو الأزدي السِّجِسْـتاني (ت: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت – عدد الأجزاء: ٤.
٢٨.سنن الترمذي = الجامع الكبير، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة ابن موسى بن الضحاك الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت – سنة النشر: ١٩٩٨م – عدد الأجزاء: ٦.
٢٩.سيرة ابن هشام، تحقيق: السقا = السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: الثانية ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م – عدد الأجزاء: ٢.
٣٠.سـيرة ابـن هشـام، تحقيـق: طـه عبـد الـرؤوف سـعد = السـيرة النبويـة لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري،

أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ)، المحقق: طه عبد الرءوف سعد، الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة – عدد الأجزاء: ٢.

٣١. شرح النووي على مسلم = المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثانية ١٣٩٢هـ – عدد الأجزاء: ١٨ (في ٩ مجلدات).

٣٢. شرح صحيح البخاري لابن بطال، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي ابن خلف بن عبد الملك (ت: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر ابن إبراهيم – دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، ط: الثانية ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

٣٣. شرح صحيح البخاري، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف ابن عبد الملك (ت: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم – دار النشر: مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط: الثانية ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م – عدد الأجزاء: ١٠.

٣٤. صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله – ﷺ – وسننه وأيامه، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ط: الأولى ١٤٢٢هـ – عدد الأجزاء: ٩.

٣٥. صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله – ﷺ –، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – عدد الأجزاء: ٥.

٣٦. علم الأخلاق الإسلامية، المؤلف: مقداد يالجن محمد علي، الناشر: دار عالم الكتب للطباعة والنشر – الرياض، ط: الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، ط: الثانية ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م – عدد الأجزاء: ١.
٣٧. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود ابن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – عدد الأجزاء: ٢٥ × ١٢.
٣٨. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، المؤلف: محمد أشرف ابن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (ت: ١٣٢٩هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الثانية ١٤١٥هـ – عدد الأجزاء: ١٤.
٣٩. غريب الحديث لابن الجوزي، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المحقق: الدكتور/ عبد المعطي أمين القلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م – عدد الأجزاء: ٢.
٤٠. غريب الحديث، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت: ٣٨٨هـ)، المحقق: عبدالكريم إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبدالقيوم عبد رب النبي، الناشر: دار الفكر، ط: ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م – عدد الأجزاء: ٣.
٤١. غريب الحديث، المؤلف: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ)، المحقق: د/ محمد عبد المعيد خان، الناشر:

مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، ط: الأولى ١٣٨٤هـ ١٩٦٤ م – عدد الأجزاء: ٤.
٤٢. الفائق في غريب الحديث والأثر، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو ابن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة – لبنان، ط: الثانية – عدد الأجزاء: ٤.
٤٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ – رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي – قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب – عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز – عدد الأجزاء: ١٣.
٤٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: زين الدين عبد الرحمن ابن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية.
٤٥. فتح العلام بشرح الإعلام بأحاديث الأحكام، المؤلف: شيخ الإسلام أبو يحيى زكريا الأنصاري الشافعي الخزرجي (ت: ٩٢٥هـ)، تحقيق: الشيخ/ علي محمد معوض، الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود – قدم له وقرظه: الأستاذ/ عبد الفتاح أبو سنة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
٤٦. كشف المشكل من حديث الصحيحين، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المحقق: علي

حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض – عدد الأجزاء: ٤.
٤٧.لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، ط: الثالثة ١٤١٤هـ – عدد الأجزاء: ١٥.
٤٨.المجتبى من السنن = السنن الصغرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد ابن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط: الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م – عدد الأجزاء: ٩.
٤٩.مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي ابن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
٥٠.مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م – عدد الأجزاء: ٢.
٥١.المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله ابن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م – عدد الأجزاء: ٤.
٥٢.مسند أبي يعلى، المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى ابن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (ت: ٣٠٧هـ)، المحقق: حسين

سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق، ط: الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م - عدد الأجزاء: ١٣.
٥٣. مسند إسحاق بن راهويه، المؤلف: أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد ابن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بابن راهويه (ت: ٢٣٨هـ)، المحقق: د/ عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، الناشر: مكتبة الإيمان - المدينة المنورة، ط: الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م - عدد الأجزاء: ٥.
٥٤. المسند، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون - إشراف: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
٥٥. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المؤلف: عياض بن موسى ابن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت: ٥٤٤هـ)، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث - عدد الأجزاء: ٢.
٥٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد ابن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت - عدد الأجزاء: ٢.
٥٧. معالم السنن = شرح سنن أبي داود، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت: ٣٨٨هـ)، الناشر: المطبعة العلمية - حلب، ط: الأولى ١٣٥١هـ ١٩٣٢م.
٥٨. المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد

السلفي – دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط: الثانية – عدد الأجزاء: ٢٥.

٥٩. المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة،

٦٠. المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق – بيروت، ط: الأولى ١٤١٢هـ.

٦١. مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر – عام النشر: ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م – عدد الأجزاء: ٦.

٦٢. الموافقات، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، ط: الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٦٣. ميلاد مجتمع، المؤلف: مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (ت: ١٣٩٣هـ)، ترجمة: عبد الصبور شاهين، الناشر: دار الفكر – الجزائر/ دار الفكر – دمشق – سورية، ط: الثالثة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م – عدد الأجزاء: ١.

٦٤. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبدالكريم كاظم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت.